

ولأن كونهما من شعائر الله يتفرع عليه هنا ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ نعرف كضابطة سارية أن الشعائر الإلهية لا يصد عنها أي صاد، فإنها ماضية على أية حال، قاضية على أي جناح مزعوم حين يُفسح لها مجال.

والجناح بمعنى المَيْلِ، مَيْلاً عنه وهو الأكثر استعمالاً كما هنا مَيْلاً بفاعله عن الحق، أم مَيْلاً إليه وهو الأقل استعمالاً وعلّه أيضاً مَيْلاً إلى الباطل، أم هي معرّبة عن «كُناه» الفارسية، وعلى أية حال فهي عصيان، والسعي فريضة في حج البيت وعمرة ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ﴾ سواءً أكان حجّ التمتع أو القران أو الأفراد، أو العمرة مفردة وسواها، فرضاً وسواه، فإنهما يُفرضان بالإحرام، والطواف هو الدوران حول الشيء إذا كان له حَوْل كالكعبة المباركة، وهو - ككلّ - السير الذي ينتهي آخره إلى أوّله، فهو يعم السعي والطواف، فالواجب فيه - ككلّ - الانتهاء إلى حيث بدأ.

وواجب البدء في السعي هو من الصفا، وكما ينتهي السير إليها ثم إلى المروة، ف«ابدأ بما بدأ الله به»^(١) كضابطة عامة هنا وفي غيره.

والسعي من أهم المناسك وأحبّها إلى الله، بل و«ليس لله منسك أحب إليه من السعي وذلك أنه يُذل فيه الجبارين»^(٢).

بل و«جُعِل السعي بين الصفا والمروة مَذَلَّةً للجبارين»^(٣) هذا - ولكنه لا

(١) حديث مستفيض عن الرسول ﷺ وأئمة أهل بيته ﷺ في مجالات عدة، منها ما في الكافي عن أبي عبد الله ﷺ قال في حديث طويل: إن رسول الله ﷺ قال: ابدأ بما بدأ الله به فأتى الصفا فبدأ بها. وفي الدر المنثور ١: ١٦٠ - أخرج مسلم والترمذي وابن جرير والبيهقي في سننه عن جابر قال: لما دنا رسول الله ﷺ من الصفا في حجته قال: إن الصفا والمروة من شعائر الله، ابدؤا بما بدأ الله به فبدأ بالصفا فرقى عليه. وعن الصادق ﷺ ما من بقعة أحب إلى الله من السعي لأنه يذل فيها كلّ جبار عنيد.

(٢) نور الثقلين ١: ١٤٧ في الكافي عدة من أصحابنا عن سهل رفعه قال: ليس لله . . .

(٣) فيه عنه عن أبي عبد الله ﷺ قال: جعل السعي . . .

يؤتى به إلا ضمن حج أو عمرة كما قال الله ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ﴾ فالإتيان به دونهما جناح وبدعة، وأما الطواف بالبيت فجائز في غيرهما لثابت السنة وعدم الحظر عنه في آيته، وهنا ﴿فَلَا جُنَاحَ﴾ قد يعتبره في غير حج أو عمرة جناحاً!

ترى ومتى فرضت فريضة السعي بين الصفا والمروة، وما هي الصفا وما هي المروة؟ قد يكون سُمي الصفا صفاً لأن المصطفى آدم هبط عليه فقطع الجبل اسم من اسم آدم ﷺ يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا﴾ وقد هبطت حواء على المروة، وإنما سُميت المروة مروة لأن المرأة هبطت عليها فقطع للجبل اسم من اسم المرأة^(١).

كما وأن الصفيّة هاجر قامت على الصفا - حين عطش إسماعيل - فقالت: هل بالوادي من أنيس؟ فلم يُجِبْها أحد فمضت حتى انتهت إلى المروّة فقالت: هل بالوادي من أنيس؟ فلم تُجِب، ثم رجعت إلى الصفا فقالت كذلك حتى صنعت ذلك سبعاً فأجرى الله ذلك سنة...^(٢)

و«لأن الشيطان ترايا لإبراهيم ﷺ في الوادي فسعى وهو منازل الشياطين»^(٣): منازل الشياطين - تحت الأرضية - الأوثان، التي دُفنت في الصفا والمروة، والشياطين فوق الأرضية الملاحقين الطائفين بالبيت، فقد نطأ الأوثان بسعيننا عليها، ونفرُّ عن الشياطين الذين يلاحقوننا بعد الطواف،

(١) نور الثقلين ١: ١٤٥ في علل الشرايع بإسناده إلى عبد الحميد بن أبي الديلم عن أبي عبد الله ﷺ قال: ...

(٢) المصدر عن العلل بإسناده إلى معاوية بن عمار عن أبي عبد الله ﷺ قال: إن إبراهيم ﷺ لما خلف إسماعيل بمكة عطش الصبي وكان فيما بين الصفا والمروة شجر فخرجت أمه حتى قامت على الصفا ...

(٣) المصدر عن العلل بإسناده إلى حماد عن الحلبي قال: سألت أبا عبد الله ﷺ لِمَ جعل السعي بين الصفا والمروة؟ قال: لأن الشيطان ...

ليستلبوا عنا الروحية التوحيدية المخلفة عنه، فليس هو العدو كيفما كان، فقد يعدو الساعي وقد يركض، فكم من عادٍ غير ساعٍ، أو ساعٍ غير عادٍ، إنما هو الجدُّ الهادف في العمل الجادِّ، والهرولة فيه هي سعي في سعي، كذلك والشياطين الداخلين، حيث السعي بهرولته تسقطهم عن قلبك، كما أسقطتهم عن قلبك، إذاً فثالوث الشيطانات تسقط بسعيك لو سعت فيه كما أمرت. والسعي هو الجدُّ الهادف، تفتيشاً دائماً عما يهمله، أم فراراً عما ينعمه، والساعي في السعي بين الصفا والمروة يفرّ عن الشيطانات الثلاث، وليجد ضالة التوحيد عقبى، وضالة العيشة دنيماً، كما ونلاحقهم سعياً وراءهم.

فآدم عليه السلام يسعى من الصفا إلى المروة - بعد طواف البيت - إنشاداً لضالته: المرأة، فقد ضلَّ عنها وضلَّت عنه في الطواف، انقطاعاً كاملاً إلى الله، وهنا ينشدها بأمر الله، فإن كلاً من الأمرين هو في مجالته وحالته من أمر الله، رمزاً للجمع بين الدين والدنيا، الدين كأصل والدنيا كهامش لا تضربه بل وقد تؤيده، وهذا درس أول في السعي من آدم.

ودرسٌ ثانٍ من الصفيّة هاجر حيث حلّت محل الصفي على الصفا تُفتش عن ماءٍ وأنيس لإسماعيها العطشان الوحيد، فلا يُؤيسها رمضاء الهواء وفاقد الماء، أو الاتكالية الفوضى - الفاضية - على الله دون سعي، بل تسعى سعيها مرات سبع، متكلة على الله بسعيها، فتفور فائرة الماء من آرتزية زمزم.

فَلْيَسْعَ السَّاعُونَ لِلْحَصُولِ عَلَى بَغِيَةِ الْحَيَاةِ الرَّامِزِ إِلَيْهَا الْمَاءِ، دُونَ أَنْ يَصُدَّهِمْ صَادٌّ، مَتَكَلِّينَ عَلَى اللَّهِ بِسَعِيهِمْ ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾^(١).

ودرسٌ ثالث من السعي أن نطأ مخابى الأوثان «إساف ونائلة» أمّا

(١) سورة النجم، الآية: ٣٩.

شابه، وذلك من شعائر التوحيد السلبية بعد إيجابية الطواف، فلأنَّ السلب في كلمة التوحيد أطول من الإيجاب وأعضل، فليكن الإيجاب بين سلبين - فإنه أسهل - : أولهما سلبيات الإحرام أما شابه، وثانيهما سلبيات السعي، البادئة بوطء الأوثان الدفينة تحت الأرض، ثم الظاهرة عليها، ومن ثم الدفينة في النفس، فإن حركات السعي، ولا سيما الهرولة كما الآبال، تُسقط عنك ما علَّقته بنفسك ما هو أجني عنها من إنيات وأنانيات.

وكل ذلك - كما الطواف - في سبعة أشواط، سلباً لأبواب الجحيم السبعة، التي هي من شيطانات سبع، المنقسمة من أصولها الثلاثة: «الشیطان - البقر - النمر» وحدويات ثلاث، واثنين ثلاث، وجمعية واحدة هي كلُّ الثلاث.

أو ليس الصفا والمرورة - بعد - من شعائر الله، حيث يُشعرنا برموز كهذه، وهو من إذاعات إلهية بارزة لدحر الشياطين والشيطانات، وإثبات حق الحياة، والسعي في كلا النفي والإثبات في حيوية التوحيد الحق؟.

ثم بعد كل ذلك ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ ربنا يشكرنا إن تطوعنا خيراً وهو خير لنا لا له: ﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ﴾^(١)! لأن تطوع الخير هو خير الخير، تكلفاً نفسياً وبدنياً في السعي أما شابهه ممّا يتكلف فيه . . . ومن صلوات آية الصفا بما سبقها من آيات، أن السعي هو من الشعائر الإبراهيمية، ثم لـ ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ موضع من صبره على إسماعيله الرضيع حيث وضعه وأمه بوادٍ غير ذي زرع، وصبر هاجر عليه حتى سعت لتجد له أنيساً أو ماءً، ثم وموضع من الصبر على تطوع السعي، نفسياً وبدنياً ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾!

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٤.

ولنقف حائرين مختجلين أمام ذلك التعبير العبير ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ﴾ وكأنه أهديت إليه بهدية يشكر لها، والمُهدي في كلّ مجالات الهدايا هو الله! وإذا كان الرب يشكر عبده على واجب عبوديته الصالحة له دون ربه، فماذا على العبد في شكره لربه وهو غريقٌ في خِصَمِّ نعمه!.

مسائل فقهية أخرى في السعي:

١ - السعي رُكْنٌ في الحج بأقسامه الثلاثة وفي العمرة مفردة وتمتعاً، يبطل كلُّ من الحج والعمرة بتركه عمداً، فإن تركه ناسياً يعيده حيثما ذكر إن أمكن، وإلا فيُطاف عنه^(١)، وهو بعد الطواف، ثم بعده التقصير - فقط - في عمرة التمتع، وفي المفردة بين الحلق والتقصير، وفي الحجّ ليس بعده حلقٌ ولا تقصير.

٢ - واجب السعي هو الأشواط السبعة، ابتداءً من الصفا، واختتاماً إلى المروة بنيةً للسعي للحج أو العمرة.

٣ - واجب الأشواط أن تكون بين الجبَلَيْنِ حيث النص ﴿أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا﴾ دون «عليهما - أو - فوقهما» وكما في الأثر الصحيح «السعي بين الصفا والمروة فريضة» فلو انحرف عن الحدِّ بين الجبلين أجبره.

٤ - يبطلُ السعي بالزيادة عمداً كما «الطواف المفروض إذا زدت عليه

(١) الكافي ٤ : ٤٣٦ والتهذيب ١ : ٤٨٩ صحيحة معاوية بن عمار عن الصادق عليه السلام : «من ترك السعي متعمداً فعليه الحج من قابل» وأما الناسي ففي الحسن عن معاوية بن عمار عن الصادق عليه السلام قال قلت له: رجل نسي السعي بين الصفا والمروة؟ قال: يعيد ذلك، قلت: «فإنه خرج؟ قال: يرجع فيعيد السعي» (التهذيب ١ : ٤٨٩ والاستبصار ٣ : ٢٣٨) وفي صحيح ابن مسلم عن أحدهما عليه السلام سألته عن رجل نسي أن يطوف بين الصفا والمروة حتى رجع إلى أهله؟ قال: يطاف عنه.

مِثْلَ الصَّلَاةِ إِذَا زَدَتْ عَلَيْهَا فَعَلَيْكَ الْإِعَادَةُ وَكَذَلِكَ السَّعْيِ»^(١) وسائر التفاصيل الخارجة عن مدلول آية السعي راجعة إلى فقه المناسك^(٢).

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَأَهْدَىٰ مِنْ بَيِّنَاتِهِ لِلنَّاسِ فِي الْأَكْتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ﴾^(١٥٩) :

الكتمان هو الستر على ما يجب إفشائه أم هو فاش، سُئِلَ عَنْهُ أَمْ لَمْ يُسْأَلْ، فَإِنَّمَا هُوَ هُنَا الْأَمْرُ الْمَنْزِلُ لِكُلِّ الْكَافَةِ الْمَكْلُفِينَ، فَإِنَّهُ لَغَوِيًّا: سِتْرُ الْحَدِيثِ، وَهُوَ يَعْمُ الْحَدِيثَ الْفَاشِي الْمَسْتَوْرَ بَعْدَ الظُّهُورِ أَوِ الَّذِي لَا يَظْهَرُ، وَهُوَ بِصِيغَةٍ أُخْرَى: تَرِكَ إِظْهَارَ الشَّيْءِ مَعَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ وَحُصُولِ الدَّاعِي إِلَى إِظْهَارِهِ، وَهَذَا أَخْفَ مَرَاحِلِ الْكَتْمَانِ، ثُمَّ ﴿مَا أَنْزَلْنَا﴾ يَعْمُ نَازِلَ الْوَحْيِ مِنْ كِتَابٍ وَسُنَّةٍ، وَ﴿الْبَيِّنَاتِ﴾ هِيَ الْحُجُجُ الْبَاهِرَةُ، سِوَاءً أَكَانَتْ بَيِّنَاتِ التَّوْحِيدِ أَوِ الرِّسَالَةِ وَالْمَعَادِ، أَمْ بَيِّنَاتِ لِمَادَةِ الرِّسَالَةِ، فَهِيَ عَلَى آيَةِ حَالِ بَيِّنَاتٍ لِلْهُدَىٰ فَإِنَّهَا مَادَةُ الرِّسَالَةِ، حَيْثُ الشَّرْعَةُ مَرْكَبَةٌ - كَكَلٍّ - مِنْ بَيِّنَاتٍ وَهْدَىٰ، وَالثَّانِيَةُ نَاتِجَةٌ عَنِ الْأُولَى، فَقَدْ تُكْتَمُ الْبَيِّنَاتُ كِإخْفَاءِ آيَاتِ الْهُدَىٰ تَكْوِينِيَّةً أَوْ تَشْرِيْعِيَّةً، أَمْ تُكْتَمُ الْهُدَىٰ النَّاتِجَةُ عَنِ تَلْكَمِ الْبَيِّنَاتِ كِتْمَانًا لِدَلَالَتِهَا عَلَى هِدَايَا، تَأْوِيلًا لَهَا إِلَى غَيْرِ مَعْنَاهَا.

ثم ﴿مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ﴾ لَهَا مَرَحَلَتَانِ، مِنْ بَيِّنَاتٍ وَهْدَىٰ بَيَّنَّتْ لِلنَّاسِ أَمْ لِكُلِّ النَّاسِ ثُمَّ تُكْتَمُ بِتَدْجِيلٍ وَتَجْدِيفٍ، وَتِلْكَ هِيَ الدَّرَكَةُ السُّفْلَىٰ مِنَ الْكَتْمَانِ.

وَمِنْ بَيِّنَاتٍ وَهْدَىٰ بَيَّنَّتْ لِمَعْرُضِ أَنْ تَبَيَّنَ لِلنَّاسِ، فَإِنَّهَا لَيْسَتْ - كَكَلٍّ - مَبَيَّنَّةً دُونَ وَسِيْطٍ لِكُلِّ النَّاسِ، لِأَنَّ مِنْهُمْ أَمِيْنٍ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي

(١) التهذيب ١: ٤٨٩ والاستبصار ٣: ٢١٧ و٤٣٩ عبد الله بن محمد عن أبي الحسن عليه السلام.
(٢) راجع كتابنا (أسرار - مناسك - أدلة الحج) باللغة الفارسية.

فكيف بيّنت لهم؟ ومنهم دارسون لا يقرؤون الكتاب فكيف بينت لهم؟ ومنهم من يتلون الكتاب ولا يعرفون كلّ بيناته وهداه، وهم كلّهم من ضمن الناس الذين يقول الله عنهم ﴿مَنْ بَعْدَ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ﴾، فسواءً بيّن للناس دون وسيط، أم بيّن بوسيط يحتمل تبيّنه لسائر الناس، وكما تُقسّم الأرزاق قسمين ثانيهما أن يُرزق المرزوق بما يُنفق عليه المنفقون بإذن الله تكويناً وتشريعاً، فإنه أيضاً من رزق الله، فقد تشمل الآية الكتمانين، كما تشمل الكاتمين كتابياً ومسلماً، كتماناً لأصول من الدين أم فروع منه^(١).

فالله يُبيّن ما أنزل من البيّنات والهدى للرسول بياناً للناس، والرسول يُبيّن لمن يأهل تعلماً لكلّ ما أنزل وهم أئمة أهل البيت عليهم السلام، وهم يعلمون العلماء على مراتبهم، ثم يعلمون سائر الناس، لأن النازل من الله ليس - فقط - للرسول أو الأئمة أو العلماء، إنما ﴿مَنْ بَعْدَ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ﴾: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾^(٢) و﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾^(٣).

ف«شر خلق الله العلماء إذا فسدوا وهم المظهرون للأباطيل، الكاتمون للحقائق وفيهم قال الله: ﴿أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ﴾^(٤).

(١) نور الثقلين ١: ١٤٩ في احتجاج الطبرسي عن أبي محمد العسكري عليه السلام حديث طويل وفيه: قيل لأمر المؤمنين عليهم السلام من خير خلق الله بعد أئمة الهدى ومصايح الدجى؟ قال: العلماء إذا صلحوا، قيل: فمن شرّ خلق الله بعد إبليس وفرعون وثمود وبعد المسّمين بأسمائكم وبعد المتلقين بألقابكم والآخذين لأمكتكم والمتأمرين في ممالككم؟ قال: العلماء إذا فسدوا، هم المظهرون للأباطيل . . .

(٢) سورة النحل، الآية: ٤٤.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٣٨.

(٤) الدر المنثور ١: ١٦٢ عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: . . . وفي تفسير البرهان ١: ١٧٠ العياشي عن زيد الشحام قال: سئل أبو عبد الله عليه السلام عن عذاب القبر قال: إن أبا جعفر حدثنا أن رجلاً أتى سلمان الفارسي فقال: حدثني فسكت عنه ثم عاد فسكت فأدبر الرجل وهو يقول ويتلو هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩] فقال له: أقبل - إننا لو وجدنا =

وكما يُحرم على علماء الكتاب كتمان ما أنزل الله، كذلك يُحرم على الجُهاال كتمان أنفسهم عن تعلّم ما أنزل الله، والحق الأول هو على العلماء، فإن من الجُهاال من يجهل أنه يجهل، أم يعلم جهله ولكنه لا يجد سبيلاً إلى التعلّم، فعلم الدين كالماء يجب إرساله إلى كلّ مكان لينتج نتاجه أيّاً كان وفي أيّ كان.

وليس يجب تعليم الدين - فقط - لمن يسأل، بل ومن لا يسأل أم لا يعرف كيف يسأل، بل هما أخرى ممن يسأل، والكتمان يشمل موارد السؤال وسواها، «من سُئل من علم عنده فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة»، و«من كتم علماً مما ينفع الله به الناس في أمر الدين ألجمه الله بلجام من نار»^(١)، و«مثل الذي يتعلم العلم ثم لا يحدث به كمثل الذي يكنز الكنز فلا ينفق منه»^(٢).

وقد تعني ﴿مَا أَنْزَلْنَا﴾ - فيما عنت - : فطرة الله التي فطر الناس عليها، والعقل، فإنهما مما أنزل الله من البيّنات والهدى، مشمولة لـ ﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾^(٣).

فمن الناس من يكتّم فطرته وعقليته، صدّاً على نفسه منافذ الهدى، وآخرون يصدون على آخرين، وثالثة تجمع في الكتمان بين بينات نفسه

= أميناً لحدثناه ولكن أعدّ لمنكر ونكير إذا أتياك في القبر فسألاك عن رسول الله ﷺ فإن شككت أو التويت ضرباك على رأسك بمطرقة معهما تصير منه رماداً، فقلت له : ثم مه؟ قال : تعود ثم تعذب، قلت : وما منكر ونكير؟ قال : هما قعيدا القبر، قلت : أملكان يعذبان الناس في قبورهم؟ قال : نعم.

(١) المصدر عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ : . . . وفيه أخرج ابن ماجه عن جابر قال قال رسول الله ﷺ : إذا لعن آخر هذه الأمة أولها فمن كتم حديثاً فقد كتم ما أنزل الله .

(٢) المصدر أخرج الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : . . .

(٣) سورة طه، الآية : ٥٠ .

وهداها، وما للآخرين فطرياً وعقلياً، ثم يكتم البيئات الأخرى وهداها، فهو في ثلوث اللعنة العصيان! .

إذاً ف ﴿مَا أَنْزَلْنَا﴾ تشمل المنزل تكويناً وتشريعاً، أنفسيّاً كالفطرة والعقلية الإنسانية وآفاقياً ككلّ البيئات الكونية والشرعية، والفرق بين البيئات وهي الآيات الربانية الباهرة - والهدى، أن الثانية هي نتيجة الأولى فالآيات البيئات هي دالات على الهدى في كلّ حقول الدلالات، فمن يكتم البيئات عن دلالاتها، أو الهدى بعد واقعها بتلك البيئات ﴿أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ﴾ فكلّ ذلك كتمان مهما اختلفت دركاته حسب مختلف درجات البيئات والهدى، ومختلف دركات الكتمان قبل البيان وبعد البيان وصدّاً عن التبيان، ف ﴿أُولَئِكَ﴾ الكاتمون ﴿يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ﴾ إبعاداً عن رحمته يوم الدنيا ويوم الدين ﴿وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ﴾ استبعاداً لهم من الله عن رحمته، وقد يشمل ﴿اللَّعْنُونَ﴾ - إلى جنب الملائكة والجنة والناس - الدواب^(١) .

وطبعاً هم ﴿وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ﴾ بحق، فإن هناك لاعنين بغير حق، وغير لاعنين الكاتمين، ف ﴿اللَّعْنُونَ﴾ هنا هم الذين يلعنون مع الله وبحكم الله وكما يلعن الله، فلأن اللعنة الناتجة عن كتمان ما أنزل الله تشمل المحرومين عنه، وتخلق جوّ البعد عن رحمة الله، فكأن الكاتمين تحولوا بذلك الكتمان إلى ملعنة ينصبّ عليها اللعن من مصادره، ويتوجه إليها بعد الله من كلّ لاعن! .

ثم ﴿وَيَلْعَنُهُمُ﴾ ليس - فقط - إخباراً عن واسع اللعن، بل وهو إنشاءً أمراً لمن ياتمر أن يلعن الكاتمين، في مثلث الجنان والقال والفعال، خلقاً

(١) الدر المنثور ١: ١٦٢ - أخرج ابن ماجة وابن المنذر وابن أبي حاتم عن البراء بن عازب قال: كنا في جنازة مع النبي ﷺ فقال: إن الكافر يضرب ضربتين بين عينيه فيسمعه كلّ دابة غير الثقلين فتلعن كل دابة سمعت صوته فذلك قول الله: ﴿وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩].

لجؤ اللعنة عليهم حتى يحدوا عن غيهم أن يذبلوا بعيهم، فإنهم ألعن الناس وأظلم الناس، قلوبهم أئمة وفي بطونهم نار، فما أنزل الله للناس هو شهادة الله عند العالمين به: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَدَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾^(١) وهو من إثم القلب الذي هو قلب الإثم: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَدَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾^(٢) وقد أخذ الله ميثاق العلماء على التبيين ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾^(٣) ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ﴾^(٤) ﴿الَّذِينَ يَبْحُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبَحْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾^(٥).

وبيان ما أنزل الله واجب كفايي ليس على أعيان العلماء ككل، وكيفيه برهاناً أن ليس بعد بيان من فيه الكفاية أي خفاء فلا كتمان، ولكنما الكفاية قلما تتفق أم لا تكون إما لعدم قيام من فيهم الكفاية، أم عدم الكفاية في العلماء الحضور، فيجب التعلم قدر الكفاية حتى يمكن التعليم ممن فيه الكفاية، فما دام في العالم جهال فالعلماء الساكتون - غير المعذورين - لا يعذرون، وكذا الذين بإمكانهم التعلم حتى يعلموا ولا يتعلمون.

ثم البيان في كل عصرٍ ومصرٍ يتطور حسب الحاجة والإمكان، دون جمودٍ على سنة خاصة متعمدة، فلكلِّ حالٍ مقالٌ، ولكلِّ مجالٍ حالٌ، كما الأدواء تختلف حسب مختلف الحال.

فمن المجاهيل من هم بحاجة إلى كلتا البيئات والهدى، ومنهم من

(١) سورة البقرة، الآية: ١٤٠.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨٣.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٨٧.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٧٤.

(٥) سورة النساء، الآية: ٣٧.